المشركون بين عقاب الدنيا ووعيد الآخرة

قوم نوح، وعاد، وصالح انموذجا

دراسة موضوعية

The polytheists are between the punishment of this world and the punishment of the Day of Resurrection

The people of Prophet Noah, Aad, Saleh, as a model

م.م. منصور نعيم علي جبر

مديرية تربية واسط

www.mansournaheem@yahoo.com

الملخص:

اتخذ الله سبحانه منهج الثواب والعقاب وسيلةً لتأديب خلقه، ودفعهم لتقويم سلوكهم، وضرب لهم الأمثال، وجعل قصص الأقوام السابقة عبرة لمن جاء بعدهم من الأمم، لذلك ذكر قصص تلك الأقوام بمواضع متفرقة من القرآن الكريم وبأسلوب مختلف، فتارة يسلط الضوء على جانب الحوار الذي دار بينهم وبين أنبياءهم، وتارة يكشف عن الأحداث المروعة والصور البشعة التي مرّوا بها جميعا؛ بسبب انحرافهم عن عبادة الله سبحانه وهو محور بحثنا، ثم يبين سبحانه ما أعدّ لهم من سوء العذاب في الآخرة، فيكون عقابهم متصلاً من الدنيا حتى الآخرة.

الكلمات المفتاحية: العقاب، أقوام الأنبياء، قوم النبي نوح، قوم النبي عاد، قوم النبي صالح، عقر الناقة.

Summary

God, Glory be to Him, took the approach of reward and punishment as a means to discipline His creation, push them to correct their behavior, set examples for them, and make the stories of the previous peoples an example for those who came after them from among the nations. between them and their Prophet, and at times it reveals the horrific events and the horrific images that they all experienced; Because

bad torment has been prepared for them in the hereafter, so their punishment will be continuous from this world to the hereafter.

of their deviation from the worship of God, glory be to Him, which is the focus of our research, then glory be to Him shows what

المقدمة:

الحمد لله رب الخلق أجمعين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على حبيبه سيد الخلق محمد وآله وصحبه الطاهرين، وبعد؛ تضمن القرآن الكريم نصوص إرشاد وهداية وموعظة وهو خطاب عام لكل الخلق، وقد اعتمد أسلوب الترغيب والترهيب في بيان بعض مضامينه المباركة، إذ أنماز بقصدية ألفاظه وتوظيف حروفه وحركاته بما يتناسب مع المعنى المقصود، حتى أبهر العرب الفصحاء بما ورد فيه من أساليب لغوية وبلاغية ساهمت في نضج اللسان العربي، وأعجز الخلق مما ورد فيه من حقائق علميه ومعلومات غيبية كانت ومازالت محط إعجاب ودهشة كل الباحثين على اختلاف انتماءاتهم واتجاهاتهم الدينية والفكرية.

وقد كشف القرآن الكريم عن عقاب جماعي أصاب الله به بعض أقوام الأمم البشرية بدأ في الدنيا واستمر في الآخرة، اختص بطائفة من الأمم الغابرة؛ إذ توعدهم الله سبحانه به في الدنيا، وأعدّ لهم عقاباً أشدّ منه في الآخرة، بسبب ما صدر منهم من مخالفات وانحرافات ساهمت في تضليل الخلق، وتشويه الحقائق، وإبعادهم عمّا جاء به أنبياؤهم عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة وأتم التسليم.

وقد ذكر الله سبحانه أحوال تلك الأمم تسلية وتقوية للرسول الكريم (;) مما لاقاه من أذى وإعراض قومه، وكذلك عبرة وموعظة للمسلمين حتى لا يسلكوا طريق الأمم السابقة فينالهم سوء المآل وشديد العقاب فضلاً عن ديمومته، إذ جعل الله سبحانه حال الأمم السابقة أسلوب وأداة للتوجيه وتنبيه وتنوير عقول المسلمين، من مغبة سلوك ذات الطريق المؤدية إلى نارٍ أوقدها الجبار لشرار خلقه.

المطلب الأول:- قوم النبي نوح (عليه السلام)

هو نوح النبي (عليه السلام) " بن لامك بن متُّوشَلَخ بن خنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن أَنوش بن شيث بن آدم " [١] عليهم السلام.

أُرسل نبي الله نوح (عليه السلام) إلى قوم مكذبين بالأنبياء، ولبث فيهم " ألف سنة إلا خمسين عاما " [٢] يدعوهم إلى عبادة الله سبحانه ونبذ عبادة الأوثان، وهم أول قوم

عاقبهم الله بعقاب جماعي في الدنيا وتوعدهم بعقاب في الآخرة.

وجاء في سورة هود قوله تعالى:(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾)هود: ٢٥ – ٢٦

كشفت هاتان الآيتان المباركتان عن جانبين من مهمة نوح عليه السلام وهما: الإنذار بخطأ ما هم عليه، وتحذيرهم مما توعدهم الله به من عقاب سرمدي بسبب عبادتهم للأوثان، وتعدد آلهتهم، وقد عبّر عن ذلك العقاب بوصفه (أليم) أي أن الألم يقع في ذلك اليوم [٣] ، وهو من قبيل وصف الظرف، بأوصاف المظروف [٤].

وقد ورد في سياق هذه الآية إسناد مجازي (يوم أليم) وهو ما يبين عظيم العقاب الذي حذّر منه النبي نوح (عليه السلام) فإن كان اليوم أليم فكيف سيكون عقاب ذلك اليوم! [٥].

تجلت رحمة الله لعبادة بإرساله إليهم أنبياء مشفقين عليهم ويخافون عليهم ويحاولون بشتى السبل أن يبعدوا أقوامهم عن العقاب المحتوم وظهر ذلك جليا في حوار النبي نوح (عليه السلام) معهم بقوله تعالى:(أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ) من سورة هود: ٢٦ وهذا الأسلوب هو من الأساليب اللطيفة في التبليغ والتي يهدف النبي إلى استمالة القلوب والعقول، وفي ذلك قال الشيخ الطوسي: " لطف في الاستدعاء وأقرب إلى الإجابة في غالب أمر الناس " [٦]، فإنهم كانوا يعبدون الأصنام خوفا منها فأراد النبي نوح (عليه السلام) أن ينبههم إلى أن الله سبحانه أحق بالخوف والخشية من سخطه من هذه الأصنام الصماء؛ لأنه خالقهم ومدبر أمورهم [٧]، فضلا عن شفقته عليهم لأنه تجلي من تجليات رحمة الله بعباده، كما إنه عليه السلام أعلم بحقيقة قسوة العقاب الذي هم بانتظاره، وقد كشف الله سبحانه في كتابه الكريم بقوله جلّ جلاله:(وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) الفرقان: ٣٧.

فقد كشفت الآية المباركة عن دفعتين من العقاب لقوم نوح (عليه السلام) وهما:

١- الغرق في الدنيا وهو مختص بهم وحدهم، وقد تناقلته ووصفته الأجيال جيل بعد آخر.

٢- والثاني (عذاباً أليماً) في الآخرة، وقد عبّر عنه بالنكرة ليفيد معنى شدّة ألمه.

كما تضمنت الآية المباركة معنى " تسلية الرسول (;) وإرهاب للمكذبين وتذكير لهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم السابقة من هلاك الاستئصال لمّا كذبوا رسلهم" [٨].

لقد أنكر قوم نوح أن يرسل الله سبحانه رسلا وأنبياء بشرا! وكانوا يعتقدون بأنهم يجب أن يكونوا ملائكة مرسلة من السماء إلى البشر!

وهم أول قوم كذّبوا رسولهم، وقد جُعلوا كمن كذّب جميع الرسل والأنبياء، وذلك لأنه يستلزم التكذيب بكل المرسلين (عليهم السلام)؛ لأنهم بشرا وليس أنبياء، لذلك كان عقابهم دنيوياً بإغراقهم بالماء، وآخروياً وصف بشدته وقسوته عليهم. [٩]

ينكشف مما تقدم أن التعبير عن عقاب قوم النبي نوح (عليه السلام) في سورة هود كان حكاية عمّا قاله نبيهم تحذيرا وتنبيها لهم لذلك كان أقل حدة وقسوة ألين من التعبير الذي ورد في سورة الفرقان؛ لأنه كان يحمل بين حروفه روح العطف والإشفاق عليهم من أن يستمروا على ما هم عليه من غي وضلال، لذلك وصف شدته بأربعة حروف (أ ل ي م)، بينما الوعيد الذي ورد في سورة الفرقان كان أشد وأقسى عليهم لذلك عبّر عنه تعالى (أليماً) أي تألف من خمسة حروف، ومن المعلوم عند علماء اللغة العربية أن الزيادة في بنية الكلمة تدل على زيادة في معناها[١٠]، وقد ثبت بنص القرآن الكريم أن عقاب الله في الآخرة أشد منه في الدنيا بقوله تعالى: ﴿ هي يج يح يخ يم ﴾ طه: ١٢٧.

وبذلك نصل إلى حقيقة مفادها أن قوم نوح أغرقهم الله في الدنيا، وسيحرقهم الله في الآخرة وهو أشد وأقسى من عقاب الغرق؛ لأن الغرق ذائقوه مرة واحدة، بينما الإحراق متجدد عليهم لا نهاية له ولا أمد إلى أن يشاء الله سبحانه.

المطلب الثاني: قوم النبي هود (عليه السلام):-

يرجع نسب قوم عاد إلى عاد بن إرم بن سام بن نوح وكانوا يسكنون اليمن[١١]، أو قربها مما يقع جنوب الجزيرة العربية[١٢]، وعُرفت بلادهم بالجفاف الحاد؛ بسبب قلة الأمطار، " حُبس عنهم المطر زمانا " [١٣]، حتى أصابهم الجفاف وبدأوا ينتظرون قطرات المطر بشغف؛ عسى وان تدب الحياة في مزارعهم التي باتت لا حياة فيها.

ورد في القرآن الكريم وصف اللحظات الأولى لعقاب قوم هود (عليه السلام) بقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الأحقاف: ٢٤.

لمّا رأوا قوم هود (عارض) سحب سوداء تقترب من بلدتهم ظنوا بأنها أمطار جاءت تخلصهم من الجفاف وتبعث الحياة في بلدتهم، فقيل لهم: هذه ليست غيوم محملة بالأمطار بل هي ما استعجلتم به من العقاب، وما طلبتموه من نبيكم الذي كذبتموه وآذيتموه، وقد وصف الله سبحانه ذلك الحدث بأدق الألفاظ وأكثرها تصويرا للواقع آنذاك، إذ عبّر عنه بلفظ (عارض) منكّرة غير معرفة؛ لأنهم جهلوه ولم يعرفوا حقيقته، ولما في ذلك من إشارة إلى شدة فرحهم به واستبشارهم ظناً منهم بأنه محمل بالحياة لا أن يأتيهم بالموت، بينما جاء لفظ (ممطرنا) معرفة

ليكون التقدير (ممطر إيانا) إي أنه سيحط رحاله علينا ولا يتجاوزنا إلى مكان آخر.

بينما هم بين أمل واستبشار وانتظار وترقب هطول الأمطار فإذا هم يُبصرون ريح قوية ترفع الهودج وكأنه جرادة صغيرة، وتُهلك كل شيء مرّت به[١٤] كالزروع والمواشي.

قال الكاشاني: " أول ما عرفوا به أنه عذاب رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والأرض، فدخلوا بيوتهم وغلّقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليالٍ وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر " [١٥]، وأصبحت منازلهم قبوراً لهم [١٦].

قد يتبادر إلى الذهن أن القرآن الكريم لم يصرّح بحال نبي الله أثناء نزول العقاب؛ إذ لم يأمر الله سبحانه النبي هود (عليه السلام) من الخروج من هذه القرية ليكون بمأمن هذه الريح التي لا تبقي على شيء؟

وجواب ذلك يكون عن طريق استعراض حال أنبياء الله وتأييدهم ونصرتهم وحفظهم من قِبل الله سبحانه أثناء تعرضهم للمخاطر، كالنبي نوح وإبراهيم، وموسى... عليهم السلام، وبذلك يمكننا القول بأن هذه الريح مخصوصة للكافرين فقط دون غيرهم، فهي مأمورة بأن تفتك بالعاصين فقط، كما مأمورة بأن لا تمس المؤمنين، ومن المسلّم بأنّ الأنبياء والمرسلين في عين الله وحفظه من كل شر ومكروه، فلا يمكنها أن تمس نبي الله.

إنّ المتأمل للآيات القرآنية التي وصفت عقوبات الله سبحانه للأم السابقة لعصر الإسلام ينكشف له أن تلك الشرائع والتعاليم كان مصدرها واحد وهدفها واحد وهو عبادة الله الواحد ونبذ عبادة من سواه، لذلك كانت سنّة الله واحدة في التعامل مع أمثال هؤلاء، فتكون تلك القصص مصدر الهام عبرة وموعظة للخلق أجمعين.

المطلب الثالث: ثمود قوم النبي صالح (عليه السلام):

(وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) سورة الأعراف: ٧٣

ارسل الله سبحانه النبي هود إلى قبيلة من قبائل العرب الأولى وكان عمره الشريف آنذاك ست عشرة سنة، وهو " ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، وهو أخو جديس بن عابر، كانت مساكنهما الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله " [١٧] ، وقال الجوهري: " ثمود قبيلة من العرب الأولى، وهم قوم صالح " [١٨]؛ وبسبب

الجفاف وقلة المياه أُطلق عليهم ثمود، وهذا ما قال به صاحب المفردات : " فعول من الثمد وهو الماء القليل " [١٩].

وصالح هو " بن أسف بن كماشج بن إرم بن ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح " [٢٠].

ومن جمال التعبير القرآني استعمال لفظ (الأخوة) إذ أنه وصف نبي الله صالح عليه السلام بأنه اخوهم مع أنهم كافرون! وأراد بذلك أخوّة النسب لا الدين؛ لأنه عليه السلام من قبيلتهم[٢١]، إلا أني اذهب إلى ابعد من ذلك فإن هذا الأسلوب تكرر مع عدد من الأنبياء عليهم السلام، وبعضهم لم يكن من قبيلة القوم المرسل إليهم، وتعليل ذلك بأن الأنبياء رسل رحمة الرحمن جاءوا للعباد بما لم يأتِ به إليه إخوانهم ولا حتى آبائهم فقد جاءوا بخير الدنيا ونعيم الآخرة، وما ورد في الأمثل يؤكد ما ذهبنا إليه بأن جميع الأنبياء (عليهم السلام) يحملون المحبة والرحمة لأقوامهم، ويساهموا في دفع كل مكروه عنهم [٢٢].

كانت ثمود تعبد الأصنام التي كان عددها سبعين صنماً وهم يعدون تلك الأصنام آلهة يعبدونها ويحترمونها ويقدمون القرابين لها ويقدسونها، فأرسل الله إليهم صالح (عليه السلام)، ولكنهم اشترطوا عليه أن يأتيهم بمعجزة حتى يؤمنوا بما جاء به، فطلبوا منه أن يُخرج لهم ناقة مع فصيلها من الجبل، ولكن حينما خرجت الناقة مع فصيلها لم يؤمنوا به واتهموه بالسحر[٢٣]، وبقوا على ما كانوا عليه من عبادة الأصنام من دون الله.

(وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) الأعراف: ٧٣

نسب الله سبحانه هذه الناقة له جلّ جلاله؛ " لأنه لم يكن لها مالك سواه " [٢٤]، أو لأنه خلقها بلا واسطه، أو تخصيصا وتفضيلا[٢٥]، أو تشريفاً لها[٢٦]؛ لأن تلك الناقة وهبها الله صفات إنمازت بها عن غيرها كخروجها من الصخر، وشربها للماء كله ثم تعطيهم الحليب بدله...

التكذيب والطغيان أعمى بصيرة الكفار من قوم صالح (عليه السلام) وجعل منهم وحوش متجبرين، لا يستمعوا لنبيهم ولا يعملوا بتوجيهاته، حتى وصل بهم الحال أن يؤذوا الناقة التي تدرّ عليهم اللبن، قال تعالى محذرا لهؤلاء من عاقبة إقدامهم على إيذاء الناقة: ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ﴾ الأعراف: ٧٣، يبيّن الله سبحانه في هذا السياق بأنهم لا يبذلون جهدا في إطعامها وشرابها، بل هي تأكل وتشرب من خيرات الله سبحانه وفي المقابل تعطي لأهل القرية اللبن الكافي لهم جميعا، ولكن زين لهم الشيطان سوء عملهم.

فإنّ الأرض أرض الله سبحانه، والناقة صنيعته وناقته فأتركوها تأكل من ارض ربها، ولا تقوموا بما يؤذيها من ضرب أو طرد أو خوف أو شيء مما يُقال له أذى [٢٧]، وقال السيوطي: " ولا تمسوها بعقر أو ضرب " [٢٨]، ولكنهم لم ينتهوا " فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فأنطلق سبقها حتى رقي جبلا أسمه قارة، فرغي ثلاثا وكان صالح قال لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها " [٢٩] .

وبعد أن عصوا رسول ربهم كان لزاما عليهم أن ينتظروا ما توعدهم الله به من العقاب " فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة، واليوم الثالث وجوهكم محمرة، وبعد غد وجوهكم مسودة ثم يصحبكم العذاب، فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله إلى ارض فلسطين، ولمّا كان اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا " [٣٠]

ينكشف لنا مما تقدم أن الله سبحانه عاقب هؤلاء الضالين عقابا شديدا عقابا نفسيا وآخر جسديا، وتجلى ذلك من خلال إمهالهم ثلاثة أيام ينظرون علامات العقاب على وجوه بعضهم البعض قال تعالى:ﭐﱡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ **ﲦ ﲧ** ﲨﲩ ﲪ **ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ** ﱠ هود: ٦٥، وهو عقاب شديد عليهم إذ ينظرون الموت وهو يقترب منهم، وتتحقق أمام أعينهم العلامات الحتمية التي وصفها لهم نبيهم، ومن شدة شعورهم بقسوة ما هم مقبلين عليه، ندموا على فعلتهم، قال تعالى: ﭐﱡ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﱠ الشعراء: ١٥٧، ولكن هذا الندم لا جدوى منه، إذ بعد انتهاء الأجل المسمى أخذتهم الرجفة وأُهلكوا في ديارهم، قال تعالى: ﭐﱡ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ **ﱾ ﱿ** ﲀ ﱠ الأعراف: ٧٨.

والرجفة هي قوة الاضطراب وشدته [٣١]، والجثم: القعود [٣٢]، وقد عبّر الله عن وحدة حالهم وشمولهم بهذا العقاب حينما عبر عن ديارهم بصيغة المفرد وليس الجمع، كذلك تغير الوان وجوهم يكشف عن تكاسلهم وخوار قوتهم عن القيام بأي شيء حتى ممارسة حياتهم الطبيعية، بل تركوا حتى الاغتسال والطعام والشراب؛ لأنهم باتوا لا يقدرون على النهوض من الأرض! بانتظار ما توعدوا به من سوء العقاب، وهم بذلك يراقبون ظهور تلك العلامات التي تبعث الرعب، على وجوههم، حتى وصف الله حالهم آنذاك بالتدمير، قال تعالى:(فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ) النمل: ٥١.

ولن ينتهِ العقاب إلى هذه المرحلة فقط، بل هناك عقاب في الحياة الآخرة أشد ولأقسى مما مرّوا به في الحياة الدنيا.

المتأمل للآيات القرآنية المختصة بوصف عقاب الأمم السابقة يشعر برحمة الله سبحانه وعنايته بعباده حتى وإن كانوا عاصين، ولكن

حينما تنفد السبل ويستمر طغيانهم ويتشبثوا بعنادهم هنا لابد من أن ينالهم شيء من غضب الجبار سبحانه وشديد عقابه، وقد يختار الله سبحانه وسائل لإنزال أشد العقاب على العاصين، من الوسائل الأساسية للعيش كالهواء، والماء، فإنّ قوم النبي نوح عليه السلام عاقبهم الله سبحانه بالماء الذي هو احد أهم أسباب استمرار الحياة، قال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) الأنبياء: ٣٠ ، إذ أخذهم الطوفان فلم يبق منهم شيء حتى مواشيهم وممتلكاتهم أصبحت وكأنها لم تكن. وقوم النبي هود عليه السلام اهلكهم الله بالهواء الذي هو أيضا من أسباب الحياة المهمة لكل الخلق، إذ اهلكهم الله بالريح التي وصفها العلماء بأنها كانت بمقدار حبة خاتم اليد[٣٣]، وغيرهم اهلكهم بالصواعق، وآخرين بالحجارة، كل هذه الآيات هي مصادر عبرة وموعظة لمن جاء بعدهم من الخلق أجمعين، عسى وان يختاروا لدنياهم وآخرتهم ما ينفعهم في الدارين، وتتحقق غاية إرسال الرسل والأنبياء عليهم السلام أجمعين.

الخاتمة:

من خلال ما تقدم تتكشف لي أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث وهي:

- سعة رحمة الله، فقد وسعت رحمته سبحانه كل شيء، حتى العاصين والمعاندين ولكن ضمن أطر تضمن العدالة بين الخلق.
- باب التوبة مفتوح، وإنّ الله سبحانه لم يغلقه بوجه التوابين من عباده مازالوا في الحياة الدنيا، قبل أن ينتقلوا إلى عالم الآخرة.
- إطالة الأمل مهلكة، فإنّ الإنسان لا يعرف متى يأتيه الأجل، لذلك ينبغي أن يتعامل مع الله سبحانه وكأنه سيُحاسب اليوم، أو بعد لحظة، كما لا يمكن أن يعول على رحمة الله؛ لأنّه سبحانه شديد العقاب أيضا.
- القدوة الحسنة، الأنبياء والرسل (عليهم السلام) تجليات رحمة الله سبحانه، وهم القادة إلى سعادة الدنيا والآخرة، لذلك ينبغي الاقتداء بهم، والعمل على ما جاءوا به من تعاليم دينية ودنيوية؛ لأنّ فيها الخير الكثير.
- الحذر من غضب الله سبحانه فهو رحيم ورؤوف ولكنه قوي وشديد العقاب، كما أنه عادل لا يظلم أحدا.
- أخذ العبرة والعظة ممن سبقنا، إذ لم يذكر الله سبحانه عقاب الأمم الغابرة للتسلية! بل ذكرها للتحذير والتذكير والنصح وإلقاء الحجة على من بعدهم، لئلا يتّبعوا اثرهم

المؤدي إلى غضب الله سبحانه وشديد عقابه.

- لا يوجد دليل عقلي أو نقلي – مما اطلعتُ عليه – ينص على أنّ حقبة العقاب الجماعي انتهت، وأن الله لم يعاقب الخلق في زماننا هذا، أو لم يعاقب الأمة الإسلامية بعقاب جماعي كما حدث للأمم السابقة.

الهوامش:

١) قصص الأنبياء لابن كثير: ٧٤، والبداية والنهاية لابن كثير: ١١٣.

(٢) أصول الكافي للكليني: ١١٥/٨.

(٣) يُنظر: معاني القرآن للزجاج: ٤٦/٣، والتبيان للطوسي: ٤٦٩/٥.

(٤) يُنظر: الميزان للطباطبائي: ١٩٠/١٠.

(٥) يُنظر: نظم الدرر للبقاعي: ٢٦٨/٩.

(٦) التبيان للطوسي: ٤٧٠/٥.

(٧) يُنظر: الميزان للطباطبائي: ١٩٠/١٠.

(٨) يُنظر: البحر المحيط لأبي حيان: ١٠٥/٨.

(٩) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٢٦/١٩.

(١٠) يُنظر: الخصائص لأبن جني: ٢٧١/٣، ومعاني النحو للدكتور فاضل السامرائي: ١١٠/٤.

(١١) يُنظر: الكشاف للزمخشري: ٣١٠/٤، وجوامع الجامع للطبرسي: ٣٥٣/٣.

(١٢) يُنظر: الميزان للطباطبائي: ٢١٤/١٨، والأمثل للشيرازي: ٢٠٦/١٦.

(١٣) جامع البيان للطبري: ٢٥/٢٦.

(١٤) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٥/٢٦، والكاشف لمحمد مغنية: ٥٠/٧.

(١٥) زبدة التفاسير للكاشاني: ٣٣٣/٦، ويُنظر: الأمثل للشيرازي: ٢٠٩/١٦.

(١٦) يُنظر: الأمثل للشيرازي: ٢٠٨/١٦-٢٠٩.

(١٧) جامع البيان للطبري: ٢٢٤/٨.

(١٨) الصحاح للجوهري: مادة (ثمد): ٤٥١/٢.

(١٩) مفردات ألفاظ القرآن للراغب: مادة (ثمد) ١١٩.

٢٠) تاريخ الطبري : ٢٢٦/١.

(٢١) يُنظر: التبيان للطوسي: ١٥/٦.

(٢٢) يُنظر: الأمثل للشيرازي: ٦٤/٥.

(٢٣) يُنظر: تفسير العياشي: ٢٠/٢، وتفسير القمي: ٣٣٠/١

(٢٤) التبيان للطوسي: ٤٤٩/٤.

(٢٥) يُنظر: بحار الأنوار للمجلسي: ٣٧٢/١١.

(٢٦) يُنظر: الأمثل للشيرازي: ٦٨/٥-٦٩.

(٢٧) يُنظر: الكشاف للزمخشري: ١١٤/٢.

(٢٨) تفسير الجلالين للسيوطي: ٢٠٤.

(٢٩) الكشاف للزمخشري: ١١٤/٢، ويُنظر: التفسير الكبير للفخر الرازي: ١٣٢/١٤.

(٣٠) الكشاف للزمخشري: ١١٤/٢.

(٣١) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب، (رجف): ٢٥٢

(٣٢) يُنظر: المصدر نفسه، (جثم): ١٢٨.

(٣٣) يُنظر: الكافي للكليني: ٩٢/٨.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الأصول من الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، (ت:٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ط:٣، ت: ١٤٢٧هـ.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، طبع ونشر دار أحياء التراث العربي، لبنان، ط:٢، ت:١٤٢٦هـ.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر محمد تقي المجلسي، (ت١١١١هـ)، تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، نشر دار أحياء التراث العربي، لبنان، ط:٣، ت:١٤٠٣هـ.
- البحر المحيط، أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي، (ت:٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، زكريا عبد المجيد، أحمد النجولي الجمل، نشر دار الكتب العلمية، لبنان، ط:١، ت: ١٤٢٢هـ.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق علي شيري، دار أحياء التراث،– بيروت، ط:١، ت: ١٤٠٨هـ.
- تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، دار التراث، بيروت، ط:٢، ١٣٨٧هـ.
- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، (ت:٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، طبع ونشر مكتب الإعلام الإسلامي، إيران ، ط:١، ت:١٤٠٩هـ .
- التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت:١٣٩٣هـ)، نشر: الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، ت:١٤٠٥هـ.
- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، (ت:٣٢٠هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، نشر المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، د.ط ، د.ت.
- تفسير القرآن العظيم الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي، نشر دار الحديث، القاهرة، ط:١، د.ت.
- تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، (ت:٣٢٩هـ)، تحقيق السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ط:٣، ت:١٤٠٤هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، (ت:٣١٠هـ)، نشر دار الفكر، لبنان، د.ط، ت:١٤٠٥هـ.
- جوامع الجامع، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، (ت:٥٤٨هـ)، تحقيق ونشر:

مؤسسة النشر الإسلامي، ايران، ط :١، ت:١٤١٨هـ.

- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت:٣٩٢هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:٤، د.ت.
- زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني، (ت:٩٨٨هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة المعارف، قم، ط:١، ت: ١٤٢٣هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت:٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، نشر دار العلم للملايين، لبنان، ط:٤، ت:١٤٠٧هـ.
- قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف – القاهرة، ط:١، ت: ١٣٨٨هـ.
- الكاشف، محمد جواد مغنية، (ت:١٤٠٠هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط:٣، ت:١٤٠٢هـ.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت:٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، (ت:٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط:١، ت: ١٤٠٨هـ.
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط:١ ، ت: ١٤٢٠هـ.
- مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، (ت:٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٣، ت:١٤٢٠ هـ.
- مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني، (ت:٥٠٢هـ)، تحقيق وتعليق: أبو عبد الله مصطفى بن العدوي، وناصر أحمد بن النجار الدمياطي، نشر مكتبة فياض، مصر، ط:١، ت:١٤٣٠هـ.
- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، (ت:١٤٠٢هـ)، تصحيح وإشراف الشيخ حسين الأعلمي، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، ط:١ المحققة، ت:١٤١٧هـ .

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (ت: ٨٨٥هـ)، نشر: